* المحـــاضرة الثـــالثة : نشأة النّقد السينمائي :

تمهيد :

إنّ النقد السينمائي مرهون وجوده ، بوجود السينما في حد ذاتها ، لمواكبته الفيلم بشتى أنواعه منذ العرض الأول في مقهى "جراند كافييه" بباريس في ديسمبر 1895على يد الإخوة لوميير حيث لم يخل هذا العرض من الملاحظات والآراء والانتقادات التي كانت عبارة عن مدح وذم للعمل الأول في تاريخ السينما، " معنى هذا أن النّقد السينمائي حديث النشأة بدوره ، باعتباره عملا تاليا لعملية الخلق والإبداع ، فتاريخه يبدأ على أحسن الفروض مع اكتمال أول محاولة سينمائية وظهورها على الشاشة بغض النظر عن نجاح هذه المحاولة أو فشلها ،وكذلك بغض النظر عن طولها أو قصرها "1

وبالتالي فالنقد السينمائي هو عملية تحليل وتفسير للعمل الفني، المتمثل في الفيلم السينمائي بشكل عام ، ومقارنته بالأعمال الأخرى بشكل خاص ،ثم الحكم عليها متتبعا العناصر الأساسية المكونة للفيلم ،وتفكيكها،شكلا ومضمونا،وذلك بتحديد الجوانب الفكرية والجمالية،وفق أسس علمية مدروسة، كالسيناريو والتمثيل والإضاءة وزوايا التصوير والموسيقى التصويرية ،الديكور، والمونتاج بأنواعه والإكسسوارات والمؤثرات الخاصة والحيل السينمائية والإخراج وغيرها ، بحيث تتبلور هذه العملية في شكل مقال نقدي منتظم ينشر في وسائل الإعلام بشتى أنواعها.

" فالنقد هو فن الحكم على الإنتاجات الفكرية ، وهو أيضا مقاربة لتقييم وتحليل المنتج الفيلمي

---

(1)- علي شلش ، النقد السينمائي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط ، 1986 ،ص : 44.

من وجهة نظر فلسفية وجمالية، ويمكن اعتباره كفحص لقيمة وأصالة النص الفيلمي، ومن هنا يرتبط النقد بمفهوم التحليل والبحث والمعالجة والدراسة وإصدار الحكم والتقييم للعمل السينمائي."1

تعتبر السينما من الفنون الحديثة التي قلبت موازين العالم الحديث بكل ما فيه من مكونات ، حتى أضحت جزءا لا يتجزأ من حياة الإنسان المعاصر ، بل وأكثر بذلك حين أصبحت إلى حد كبير، لسان حاله ، الذي يعبر عن ثقافته وأيديولوجيته وما يحيط به من مؤثرات داخلية وخارجية في المجتمع الذي يعيش فيه ، وبذلك أصبحت الصورة بكل مكوناتها ، عنوانا بارزا للعصر الذي نعيش فيه ، حتى أنّ بعض النقاد والدارسين المتخصصين لقبوه بعصر الصورة بامتياز إذ " تعتبر الصورة الوسيط الأكثر قوة وشيوعا في العالم المعاصر نظرا لما تتيحه من إمكانيات لا متناهية للتواصل والدعاية ، ومن وسائل لا محدودة للتأثير في الرأي العام ، خاصة لما تحقق لها من طفرات تكنولوجية وعلى رأسها الطفرة الرقمية ."2

نشأ النّقد السينمائي مباشرة بعد ظهور السينما ،لأن الفن الجديد قد وجد اهتماما منقطع النظير من لدن الصّحافة آنذاك ، التي سرعان ما فتحت المجال لرجالها لتتبع خفايا وخبايا هذا الفن وتقصي أخباره ، وبذلك ظهر حينها، ما يسمى بالصّحافة الفنية، إلاّ أنّ هذا العمل اتّسم بالبساطة والابتعاد عن الجانب الفني الجمالي، واقتصر مثلما هو الحال على الجانب الشكلي الخارجي فقط .

ولعلنا ندرك سوية، أنّ ما يغذي هذه الملاحظات والانطباعات، لدى المتلقي(المتفرج) هو وجود

---

(1). مولاي ادريس الجعيدي، أسئلة النقد السينمائي المغربي،منشورات نادي إيموزار للسينما،الليدو، فاس ، المغرب، ص :8

(2). عبد العالي معزوز ، فلسفة الصورة ـ الصورة بين الفن والتواصل ـ أفريقيا الشرق ، المغرب ، دط ، 2014 ، ص : 145

ما يسمى بالتذوق الفني للمدركات الحسية الجمالية، حيث « يستقر الفهم الجمالي للفيلم من خلال "المشاهدة " فالتحقق الجمالي يتم بين ما يعرضه الفيلم، وما يتلقفه المتفرج من جوانب جمالية وأوجه شكلية ، وأبعاد مضمونية تتفاعل بدورها في مخيلة المتفرج ، وتحرك أحاسيسه وأفكاره ، وتجعله يشاطر " المخرج " نظرته الجمالية . "1

يجمع جلّ الباحثين على أنّ الإرهاصات الأولى للنّقد السينمائي قد ظهرت بوادرها بفرنسا ، كون هذه الأخيرة تعتبر من الناحية الأكاديمية والتاريخية منشأ السينما ، إضافة إلى أنّها بلد الفن والصحافة ولها تقاليد عريقة في مجال الكتابة الصحفية ، مما فتح المجال على مصراعيه ، للكتابات النقدية ، بغض النظر عن بساطتها وسذاجتها في بعض الأحيان ، " فقد استقبلت السينما ، استقبالا حماسيا لكنه مشوب بالحذر شأنها مع كل جديد طارئ في الحياة أو الفن، وكانت التعليقات الأولى على الأفلام ، في مجملها ، مفرطة في المدح والقدح على السواء ، لا تعرف الوسط ، تستخدم مصطلحات الأدب والمسرح بصفة خاصة ، كما تستخدم لغة لا تعرف التدقيق أو التخصيص في النهاية وكان معظم كتاب هذه التعليقات من الصحفيين ومندوبي الدعاية والإعلان في الصحف ."2

ومع تطور السينما ، تعددت أنظمة الصورة وتنوعت وظائفها ومهامها وظهرت أشكال وأنواع واختلفت باختلاف مواضيعها واختلاف صناعها ، مما استدعى تغير أوضاع الكتابة النقدية.

---

(1)- عقيل مهدي يوسف ، جاذبية الصورة السينمائية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1، 2001، ص : 179.

(2)- علي شلش ، النقد السينمائي ، م س ، ص : 45 .

الصحفية، من مجرد إحصاء للجانب الشكلي إلى ضرورة قراءة الصورة وتجلي رهاناتها المستقبلية.

" وبعد العالمية الحرب الأولى تغير هذا الوضع إلى حد ما نتيجة لعدة عوامل أهمها :

* ازدياد عدد الأفلام الروائية الطويلة التي تنتجها فرنسا وأمريكا وألمانيا والسويد بوجه خاص .

* ظهور بعض الممثلين المجيدين ذوي الشعبية الكبيرة مثل تشابلن الذي أطلق عليه الفرنسيون اسم (شارلو) charlot ودوجلاس فيربانكس .

* ازدياد تعلق الجماهير بالسينما ، حتى صار التردد على دور السينما كالتردد على المقاهي"[1]

ومع هذا التزايد والإقبال الكبيرين على السينما تضاعف الاهتمام على تحليل الأفلام وقراءتها ومعرفة أخبار المشتغلين بها من ممثلين ومخرجين وتقنيين وغيرهم . " وترتب على هذا تحسن اهتمام الصحافة بالسينما ، وازدياد عدد الصحفيين المتخصصين فيها وتخصيص صفحات أو زوايا للكتابة عن الأفلام والدعاية لها وكان بعض هؤلاء الصحفيين ينقل ما يدور داخل الاستوديوهات من ثرثرة، وأحاديث أو يلخص الأفلام الجديدة مع نشر مختارات من صورها ، وكان البعض الأخر ينشر ملخصات لسيناريوهات أفلام يجري إخراجها "[2]

والملاحظ في ذلك ، أنّ كل هذه الجهود الفردية لا تعبر إلا عن سوء فهم هؤلاء الصحفيين لمفهوم النقد الحقيقي ، إذ اهتموا بالجوانب الشكلية دون المضمون المتمثل في الأسس الجمالية والفنية

---

(1) . علي شلش ، النقد السينمائي ، م س، ص: 45، 46.

(2) . م ن ، ص : 46.

التي هي أساس البناء الفني والتقني للفيلم السينمائي ، " ولهذا لم يكن من الغريب عام 1925 أن يعلن الناقد رينيه بيزيه R.Bizet خلو الميدان من النقد والنقاد الجادين ، وحلول الدعاية والإعلان محلهما وأن يشكو في العام التالي من كثرة المجاملات والتهاني!."[1]

بمعنى أنّ جلّ الآراء والملاحظات لم تخرج عن كونها ترويج للأفلام السينمائية ودعاية لها بشكل أو بآخر،" وفي عام 1911 نشر كانودو Canudo مقالا ذكيا وعميقا عن جماليات السينما ، وكان الموسيقار أ. فييرموز E .Vuillermoz قد اهتم بالسينما فنشر في نهاية عام 1919 عدة مقالات مشابهة ، ثم ظهر الناقد السينمائي الحقيقي ممثلا في اثنين من السينمائيين هما : ليون موسيناك ،ولوي ديللوك .

جاء موسيناك من ميدان الأدب ، وكان قد ألف عدة روايات قصيرة ثم اهتم بالكتابة عن السينما منذ عام 1921 ، وبعدها أصبح رئيسا لتحرير مجلة " الفيلم " أما ديللوك فقد جاء من من داخل ميدان السينما نفسه وعمل مخرجا ثم رئيسا لتحرير المجلة السابقة في السنوات من 1991 إلى عام 1922، وأسس مجلة "سينيا" Cinéa عام 1932 ، وألّف عدة كتب هامة عن السينما وجمالياتها ، ومات عام 1942 عن 34 عاما . "[2]

ومن هنا أخذ مجال النقد السينمائي منعرجا حاسما من خلال كتابات موسيناك وديللوك، بعد أن ركزت في مجملها على الجوانب الفنية للفيلم السينمائي .

" وكانت كتابات موسيناك وديللوك متقدمة على عصرها ، تتميز بالوضوح والحيوية والحب

---

(1). علي شلش ، النّقد السينمائي، م س ، ص : 46.

(2) . م ن ، ص: 47.

الحقيقي للفن السابع كما أسماه زميلهما كانودو ، وقد تركت آثارا عميقة في معاصريها ، وكان لها فضل التنبيه على أهمية النقد السينمائي ودوره ، وقد ظهرت على أثرها كتابات أخرى متفرقة لعدد آخر من المحبين الحقيقيين للسينما في مقدمتهم رينييه كلير R .Clair، كافالكانتي Cavalcanti ،ج.دولاك G.dulac ، بليز سندرار B.Cendrar ، وغيرهم ، وفي الوقت نفسه ظهر عدد من المؤلفات النقدية النظرية والمجلات السينمائية المتخصصة مثل مجلة جازيت الفن السابع " التي أدارها كانودو ، Gazette des Sept Arts. ."[1]

وسرعان ما بدأت بوادر النقد السينمائي تتبلور في أفق الثقافة السينمائية آنذاك ، بفضل خروجه عن إطار الذاتية والانطباعات الشخصية التي لا تخدم العمل الفني الإبداعي، « وتمكنت بعض الأخبار في نفس المرحلة من مراعاة بعض شروط وأساسيات الخبر الصحفي ،وتحديد صفات العمل السينمائي لأول مرة ." [2] شكلا ومضمونا ، من خلال التعرف على عناصر السينما وجزئياتها ، الفنية والتقنية ، بل وبكل ما يحيط بظروف الإخراج ، من تصوير وديكور وموسيقى وحركات الممثلين والمونتاج الذي هو روح الفيلم كما يقول : سيرجاي إيزينشتيان.

ومن هذا المنطلق أخذت العملية النقدية في السينما تتوسع شيئا فشيئا في البلدان التي عرفت البدايات الأولى للسينما" وفي عام 1928تجمع النقاد لأل مرة في تاريخ السينما، وأسسوا رابطة النقد السينمائي، انضم إليها 20 ناقدا من غير المشتغلين بالدعاية والإعلان."[3]

---

(1). علي شلش ، النّقد السينمائي، م س ، ص: 47، 48.

(2) ـ العلوي لمحرزي ، المقاربة النّقدية للخطاب السينمائي بالمغرب ، منشورات سايس مديت ، ط1 ،2007 ، ص : 34.

(3) ـ علي شلش ، النقد السينمائي ، م س ، ص : 49 .

وهكذا كانت بداية النقد السينمائي في كثير من البلدان التي عرفت السينما منذ ظهورها ، إذ تلخصت في مجموعة من التعليقات والانطباعات العامة في الصحف اليومية و الأسبوعية غير المتخصصة، لكن ذلك لم يمنع العملية النقدية من أن تتطور شيئا فشيئا عبر الزمن ، وتقترب أكثر من الفيلم وجمالياته ، بعد دخول بعض من المخرجين السينمائيين مجال النقد الحقيقي ، كأستروك و كودار وتروفو وشابرول ، الذين يشتركون في تحرير مجلة " كراسات السينما " ونظرية " الموجة الجديدة "Nouvelle Vague في بداية سنوات الستينات .1

كما شهدت هذه الفترة ظهور الكثير من النظريات النقدية العامة والتي أثرت بشكل مباشر على القيم الجمالية للسينما ، كان من أبرزها البنيوية والسيميولوجية على أيدي، "رولان بارت Roland Barthes" و "كريستيان ميتز C .Metz " و "امبيرتو ايكو Umberto Eco".

" والحركة التي ارتسمت من قبل ،اعتبارا من 1965 ، في سياق البنيوية أثرت مباشرة في دراسة السينما بإيحائها ، بأن تدرس (حقا وليس مجازا بعد) كلغة ، وهذه الحركة هي التي فرضت نفسها فيها. "2

وقد سارت هذه النظريات بموازاتها لعلوم الألسنية ، بغرض دراسة العلاقة بين السينما والمتلقي ومدى تأثر هذا الأخير من الناحية السيكولوجية النفسية من منطلق اللاشعور ، ومثلما يعبر عنه فرويد ، فالتخييل هو بمثابة محصّلة العلاقة بين المشاهد والفيلم .

---

(1) ـ ينظر :علي شلش ، النقد السينمائي ، م س ، ص : 49 .

(2) ـ جاك أومون ، ميشال ماري ، تحليل الأفلام ، ترجمة :أنطوان حمصي ،منشورات وزارة الثقافة ،المؤسسة العامة للسينما ـ سورية ـ دمشق ، دط ، 1999 ، ص : 224.